Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

الحديث النبوي الشريف دراسة أسلوبية

"حديث الإسلام والإيمان والإحسان، أنموذجًا"

A Stylistic Study of the Noble Prophet's Hadith: The Hadith of Islam, " Faith, and Charity as a Model,"

راضية بوبكري Radia Boubakri

أستاذ محاضر أ ، جامعة باجي مختار عنابة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها

Badji Mokhtar - Annaba University - Faculty of Letters & Languages -

Department of Arabic language and Literature

radiakhefif@yahoo.fr

الاسم الكامل: راضية بوبكري Radia Boubakri الإيميل: radiakhefif@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023-07-24 **تاريخ القبول :** 2023-09-19

الملخص:

نستعرض في هذا البحث الموسوم بـ:" الحديث النبوي الشريف دراسة أسلوبية: حديث الإسلام والإيمان والإحسان، أنموذجًا" الخصائص الأسلوبية التي تتسم بها الأحاديث النبوية الشريفة على مستوى بنائها اللغوي، وأسلوبها المتميز، المشحون بالدلالات والقيم الدينية والانسانيّة المتنوعة. وذلك من خلال استثمار الإجراءات المنهجية للأسلوبية في تحليل الحديث النبوي الشريف موضوع الدراسة. يهدف هذا البحث إلى الكشف عن المواطن الجمالية لأسلوب الحديث النبوي الشريف، وما يميّزه شكلا ومضمونا، ويجعله قادرا على التأثير في المتلقي. سنحاول من خلال هذا البحث الإجابة على التساؤلات الآتية: - ما الأسلوبية؟ وما الذي يميز التحليل الأسلوبي عن التحليل اللساني والبلاغي؟ ما هي السّمات الأسلوبية التي يتميز بها الحديث النبوي الشريف؟- كيف يحقق الحديث النبوي الشريف الاتساق والانسجام؟ - إلى أيّ مدى تحقق الاتساق والانسجام بين الأسلوب والدلالة على مستوى حديث الإسلام والإيمان والإحسان؟

الكلمات المفتاحية: أسلوبية، أسلوب، سمات أسلوبية، دلالة، الحديث النبوي

Abstract:

In this research titled “A Stylistic Study of the Noble Prophet’s Hadith: The Hadith of Islam, Faith, and Charity as a Model,” we review the stylistic characteristics of the noble Prophet’s Hadith at the level of linguistic structure and distinct style, as well as the various religious and human values and connotations. This is performed by utilizing the methodological procedures of stylistics in analyzing the Prophet’s Hadith under study. This research aims to reveal the aesthetic aspects of the Prophet’s Hadith style, and the distinguishing features in form and content that enable it to influence the recipient. Through this research, we will try to answer the following questions: - What is stylistics? What distinguishes stylistic analysis from linguistic and rhetorical analysis? What are the stylistic features of the noble Hadith? - How does the Prophet’s Hadith achieve consistency and harmony? - To what extent has consistency and harmony been achieved between style and evidence in the Hadith of Islam, faith, and charity?
Keywords: stylistics, style, stylistic features, significance, Prophet’s Hadith

مقدمة:

يشكّل الخطاب الديني فضاء لغويا تتقاطع فيه مجموعة من القيم الإنسانية، والاجتماعية، والنفسية، والجمالية، وتهيمن القيم الدينية بأغراضها المختلفة والمتنوعة، الساعية إلى النصح، والوعظ، والإرشاد، والتنبيه، والتحذير، والترغيب والترهيب، حيث يعمد الخطاب الديني وعلى رأسه الحديث النبوي الشريف إلى إيصال أفكاره وإبلاغ رسائله عبر أسلوب خاص ومتميز، لا يضاهيه أسلوب على الإطلاق، من حيث البنية اللغوية على مستوى الشكل، والبنية الدلالية على مستوى المضامين والمعاني، فأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تتسم بالفصاحة والبلاغة، لأنها تسعى إلى إيصال المعنى من أقرب مرمى، ومن ثم فإن الحديث النبوي الشريف يعد مشتلة خصبة لأساليب الإقناع والتأثير وإيصال الرسالة وإبلاغها، فهو خطاب مباشر، وواضح، وبسيط، وموجز، لا صنعة فيه ولا تكلف. وللوقوف على خصائص الأسلوب في الحديث النبوي الشريف وسماته العامة، وما يميزه عن بقية الخطابات، سنحاول مقاربته أسلوبيا، بالاعتماد على أهم الإجراءات المنهجية التي تتيحها الأسلوبية باعتبارها منهجا من أهم المناهج النقدية المعاصرة التي تسعى إلى تحليل النص ومقاربته وفق رؤية تختلف عن الرؤية البنيوية المحايثة التي تختزل النص في شكله وبنائه اللغوي، بينما تتجاوز الأسلوبية شكل النص ولغته إلى البحث عن الدلالات والمضامين والمعاني الكامنة فيه، كما تعمل الأسلوبية على دراسة الأسلوب وتحديد سماته الخاصة، من خلال ربط النص بسياقاته المختلفة، التي أنتجته، وربطه بصاحبه أو المرسل، لتبحث عن القيم التعبيرية، والنفسية المشكلة للنص، وتكشف عن أهم الظواهر الأسلوبية التي تسهم في بناء النص كالتكرار، والإيجاز، والانزياح، والمفارقة، والإيقاع، والأساليب الإنشائية والخبرية، وغيرها. سنحاول في هذا المقال الكشف عن أهم الخصائص الأسلوبية على مستوى الحديث النبوي الشريف، من خلال تحليل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان، أو ما يعرف بحديث جبريل عليه السلام. وقد ورد هذا الحديث في كل من صحيح البخاري في باب سؤال جبريل النبي صلى اله عليه وسلم عن الإيمان ، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة ورقمه خمسون (50) وفي صحيح مسلم رقمه ثمانية (08) في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، وفي الأربعين النووية التي تجمع أهم الأحاديث التي لها علاقة بالحياة اليومية والمعاملات الدنيوية.، ورقمه اثنان (02).

سنسلط الضوء بداية على الأسلوبية كمنهج لتحليل النصوص والخطابات، من خلال الحديث عنها مصطلحا ومفهوما، وكيف تعاملت الدراسات العربية الحديثة مع الأسلوبية، كما سنتحدث عن التحليل الأسلوبي، وما يميزه عن التحليل الساني والبلاغي، ثم سنخصص الجزء الثاني من البحث لتحليل الحديث موضوع الدراسة تحليلا أسلوبيا.

المحور الأول: الأسلوبية في المصطلح والمفهوم:

أولا: مصطلح الأسلوبية:

يقابل مصطلح (stylistique) في اللغة الفرنسية و (stylisics) في اللغة الإنجليزية، مصطلح الأسلوبية في الدراسات العربية الحديثة، ويرجع استعمال المصطلح في أصله الأجنبي إلى نهاية القرن الثامن عشر (ق18م) ، وبداية القرن التاسع عشر (ق19م) .

ولقد أشار (بيير جيرو) (Pierre Giraud) في كتابه (الأسلوبية) إلى أن الشاعر الألماني (نوفاليس) (Novalis) (1772/1801) " هو أول من استخدم هذا المصطلح (الأسلوبية). والأسلوبية بالنسبة إليه تختلط مع البلاغة" [1]، كما أشار أيضا إلى أن " (هيلانغ) وقد جاء بعد (نوفاليس) (1937) قال أنها علم بلاغي، وإذا نظرنا إلى كتب الأسلوبية اللاتينية فسنرى أنها ليست سوى كتب للقواعد والأمثلة، و(فورسيستر) (1846) لا يراها إلا هكذا" [2]

كما تشير بعض الدراسات إلى أن الباحث " (فون درجا بلنتس) أطلق سنة (1875) ، مصطلح الأسلوبية على دراسة الأسلوب عبر الانزياحات اللغوية والبلاغية في الكتابة الأدبية. أو هي-أي الأسلوبية- ما يختاره الكاتب من الكلمات والتراكيب وما يُؤثره في كلامه عما سواه لأنه يجده أكثر تعبيرا عن أفكاره ورؤاه." [3] ، وهو ما يجعلنا نعتقد أن استعمال مصطلح الأسلوبية في بداياته الأولى كان مرتبطا بالبلاغة. ما جعل "عامة الباحثين الغربيين نادرا ما يعتدّون بمثل هذه الاستخدامات المتقدّمة التي ترد في سياق هيمنة العصر البلاغيّ، لأنّ الميلاد الحقيقي للأسلوبيّة –في نظرهم- يعود إلى بدايات القرن العشرين، مع تلميذ دوسوسير ومواطنه، الألسني السويسري (شارل بالي Charle Bally) (1947- 1865) الذي أسس هذا العلم في كتابه الرائد (مبحث في الأسلوبية الفرنسية) (Traité de stylistique Française) سنة 1909 تحديدا" [4]

ويتألف المصطلح في أصله الغربي، من: (Style) و(ique) ، و في العربية عند ترجمته من الجذر (أسلوب) واللاحقة (ية)، وحول الشكل المركب للمصطلح قال عبد السلام المسدي: " سواء انطلقنا من الدال اللاتيني وما تولّد عنه في مختلف اللغات الفرعيّة، أو انطلقنا من المصطلح الّذي استقرّ ترجمة له في العربيّة، وقفنا على دالّ مركّب جذره (أسلوب) (Style)، ولاحقته (ية) (ique) وخصائص الأصل تقابل انطلاقا أبعاد اللاحقة، فالأسلوب ... ذو مدلول إنسانيّ ذاتيّ، وبالتّالي نسبيّ، واللاّحقة تختص – فيما تختص به – بالبعد العلماني العقلي ، وبالتالي الموضوعي. ويمكن في كلتا الحالتين تفكيك الدّال الاصطلاحي إلى مدلوليه بما يطابق عبارة:

(علم الأسلوب) (Science du style) لذلك تُعرّف الأسلوبية بداهة بالبحث عن الأسس الموضوعيّة لإرساء علم الأسلوب" [5]، وهو ما يعني أن الأسلوبية (stylistique) هي نفسها علم الأسلوب (Science du style) وأنّ الأسلوب بكلّ خصائصه الذّاتية والإنسانية هو موضوع للأسلوبية أو علم الأسلوب.

ولقد جاء في معجم المصطلحات الأدبية، "أن الفرنسيين يميزون بين الأسلوبيـــة (بصيغة المذكر) (le stylistique)، التي تعني قضايـا ومـفاهيم الأسلوب، وبين الأسـلوبية " بصيغـة المؤنـث ((La stylistique)، والتي يمكن تحديدها بأنّها مذهب جامعيّ أسّسه (شارل. بالي) سنة 1905. كما يمكن تحديدها بالعبارة التالية: الأسلوبية ممارسة. هذا الجزم الأساس هو في الواقع أطروحة نابعة من الحذر. بالطبع يمكننا القول، إن الأسلوبية هي أيضا مذهب ونظرية تتناول قضايا الأسلوب. ومن الملائم أيضا التعرف إلى الأسلوبية بمعنييها، المفاهيم المتعلقة بالأسلوب، وأن نرى انطلاقا من ذلك أن هناك، كما كان الحال من قبل، أن هناك أسلوبيات. " [6]

أما بالنسبة للدراسات العربية فقد كان عبد السلام المسدي سباقا إلى نقل مصطلح الأسلوبية ونشره بين الباحثين العرب، حيث يترجم مصطلح (stylistique) بالأسلوبية، ويستعمل مصطلح علم الأسلوب (Science du style) أحيانا.، أما سعد مصلوح فيترجم المصطلح بـ: الأسلوبيات، ويستعمله الحاج صالح ومازن الوعر، أما صلاح فضل فيترجمه بـ: علم الأسلوب ويعتبره جزءا من اللسانيات، وقد ذهب الكثير من الباحثين إلى استعمال مصطلح الأسلوبية، ومن هؤلاء: عبد السلام المسدي، ومنذر عياشي، وحميد لحميداني..وغيرهم. وقد استعمل محمد عناني في كتابه المصطلحات الأدبية الحديثة مصطلح (علم الأسلوبية)، حيث اعتبرها فرعا من فروع اللسانيات من خلال قوله: " وقد استفاد البنيويون من اللغويات من زاويتين، الأولى هي تطبيقاتها المباشرة على الأدب، مما أدى في نهاية الأمر إلى ظهور

علم الأسلوبية stylisics " [7] . وحول طبيعة المصطلح الذي استعمله محمد عناني يرى يوسف وغليسي أنه: "في الوقت الذي يُشكّك بعض الغربيين في علميّة الأسلوبيّة، أو استقلاليتها العلميّة على الأصح مكتفين بتقديمها على أنّها "دراسة" أو " مجال من البحث" أو " مصطلح علميّ" ، نجد ناقدا عربيّا بحجم محمد عناني يبالغ –حدا ومفهوما- في إشباعها علمية، إذ لا يكتفي بـــ: الأسلوبيّة... أو علم دراسة الأساليب وتحليلها" ، بل يصطنع في سياق آخر من كتاب واحد " علم الأسلوبيّة"، مع أن صيغة المصدر الصناعي كفيلة بتضمن الدّلالة العلميّة، ولا تحتاج إلى المضاف العلميّ (كلمة علميّ) إلا من باب الإطناب والتجاوز..." [8]

فلقد "انتقل مصطلح (Stylistique) إلى العربية بتسميات قليلة متقاربة، لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، يهيمن عليها المقابل الشائع (أسلوبية) الذي تفوق تداوليته غيرها في سائر البدائل الاصطلاحية، كـ "الأسلوبيات" الذي يصطنعه سعد مصلوح ورابح بوحوش ، أو "علم الأسلوب" الذي يتوازى مع الأسلوبية في (معجم مصطلحات علم اللغة الحديث) ، و(المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات) و(قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية) ومجمل الكتابات المصرية... أو " علم الأساليب" الذي أشاعته بعض الكتابات اللبنانية خصوصا، ...كما تستعمل الدكتورة عزة آغا ملك ... –في نطاق محدود جدا- مصطلح " علم الإنشاء" ، مقابلا للمصطلح الأجنبي" [9]. وربما الاختلاف في ترجمة المصطلح عند العرب، يرجع إلى ضبابية المصطلح في أصله الأجنبي، وإلى اختلاف مرجعيات الباحثين العرب ومنطلقاتهم الفكرية في تلقي الأسلوبية، وترجمتها.

فالأسلوبية كحقل معرفي، ومنهج نقدي من مناهج تحليل الخطاب، عرفت الكثير من الاختلاف والتباين في تحديد مفهومها وضبط مصطلحاتها، بين الدارسين الغربيين والعرب على حد سواء، وربما يرجع ذلك إلى امتداداتها المعرفية، وتقاطعها مع الكثير من الحقول المعرفية الأخرى، كاللسانيات، والأدب، والنقد، والبلاغة وغيرها، وهي الحقول ذاتها التي رسمت حدودها المعرفية. وربما هذا التداخل بين الأسلوبية وبين اللسانيات والأدب والبلاغة، هو ما أحدث نوعا من الاضطراب في تحديد مفهومها، وطرق اشتغالها، وضبط مصطلحاتها. إلا أن المتفق عليه بين أغلب الدارسين العرب والغربيين هو أن مصطلح الأسلوبية (stylisics) (stylistique) يدل على الدراسة العلمية للأسلوب.

ثانيا: مفهوم الأسلوبية:

اختلف العلماء والدّارسون في تحديد مفهوم الأسلوبية، نظرا لاختلاف مرجعيات هذا الحقل المعرفي، وامتداده بين علوم كثيرة، تختلف منطلقاتها في دراسة اللغة وتحليل النصوص، حيث "يعترف كثير من الدارسين أن كلمة أسلوبية لا يمكن أن تُعرّف بشكل مُرضٍ، وقد يكون هذا راجع إلى مدى رحابة الميادين التي صارت هذه الكلمة تطلق عليها، إلا أنّه يمكن القول إنّها تعني بشكل من الأشكال التّحليل اللّغوي لبنية النص، ومن ثمّ يمكن تعريف الأسلوبيّة بأنها فرع من اللسانيات الحديثة مخصص للتّحليلات التفصيليّة للأساليب الأدبيّة أو للاختيارات اللّغويّة التي يقوّم بها المتحدّثون والكتّاب في السّياقات – البيئات- الأدبية وغير الأدبية" [10]

وعليه يمكننا اعتبار أن الأسلوبية فرع من فروع اللسانيات تهتم بالبنية اللغوية للنصوص والخطابات، وتبحث عن السمات الأسلوبية التي تميز إنتاجا أدبيا عن الآخر، من خلال الكشف عن أهم الظواهر الأسلوبية في مختلف النصوص، وهو ما أشار إليه عدنان بن ذريل في كتابه النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق عندما قال: " وفي نظري أن الأسلوبية روح منهجية، علمية، أكثر منها تنظيرات، وينبغي أن تظل استرواحا منهجيا لإمكانيات بلوغ الحقيقة في الكشف عن أسرار (الظاهرة الأسلوبية) في هذا النص، أو ذاك فتكون دائما تمرسا مرنا ينصف أساليب الأنواع الأدبية المختلفة.." [11]

أي أن "الأسلوبية علم يدرس اللغة ضمن نظام الخطاب، ولكنها –أيضا- علم يدرس الخطاب موزعا على مبدأ هوية الأجناس، ولذا كان موضوع هذا العلم متعدد المستويات، مختلف المشارب والاهتمامات، متنوع الأهداف والاتجاهات. وما دامت اللغة ليست حكرا على ميدان إيصالي دون آخر، فإن موضوع علم الأسلوبية ليس حكرا –هو أيضا- على ميدان تعبيري دون آخر " [12]

كما تُحدد الأسلوبية، وتُعرّف على أنّها " بلاغة حديثة تحت شكلها المزدوج: علم التعبير، ونقد للأساليب الفردية"، وعليه فالأسلوبية هي"الوريث (Héritière)المباشر للبلاغة" و يرى هارتمان في معجم اللغة واللسانيات أن الأسلوبية هي تطبيق المعرفة الألسنية في دراسة الأسلوب" [13]

ويرى بيير جيرو في كتابه الأسلوبية أن " الأسلوبية ...هي علم الأسلوب، أي إنها مجردة بالضرورة، وتحليلية، وموضوعية، وعقلانية " [14].

ويرى (سبيتزر) أن الأسلوبية تمثل الجسر الذي يربط اللسانيات بالأدب والنقد ولقد أشار إلى ذلك منذر عياشي في قوله: " فالأسلوبية هي صلة اللسانيات بالأدب ونقده، وبها تنتقل من دراسة الجملة –لغة- إلى دراسة اللغة- نصا، فخطابا، فأجناسا، ولذا كانت الأسلوبية (جسر اللسانيات إلى تاريخ الأدب)، كما عبر (سبيتزر) عن ذلك" [15]

المحور الثاني: التحليل الأسلوبي :

إن تحليل النصوص ومقاربتها أسلوبيا، يتجاوز البنية الشكلية للنص، إلى معرفة السياقات المختلفة التي أُنتج فيها النص، بالإضافة إلى معرفة ثقافة المرسل ومرجعياته المختلفة، لذلك يختلف التحليل الأسلوبي " باختلاف مداخل التحليل، فقد يكون المدخل بنيويا بمعنى أن الانطلاق فيه يكون من مباني المفردات وتراكيب الجمل وأشكال النصوص وهندسة الآثار، أو دلاليا ينطلق فيه من صور معانيه الجزئية وموضوعاته الفردية وأغراضه الغالبة ومقاصده العامة وأجناسه المعتمدة، كما قد يكون المدخل بلاغيا ينطلق فيه من الظاهرة الأسلوبية أو مجموعة الظواهر المستخدمة، كما قد يكون المدخل إليه من الباب التقني فتعتمد فيه المقارنة أو الموازنة، أو تقنيات المقايسة والإحصاء" [16]، وهو ما يدل على أن الأسلوبية " ليست منهجا قائما بذاته، مستوفيا لضوابطه المنهجية، وقد رأينا أيضا –من قبل- أنها ليست علما مستقل الاختصاص، فكأنها إذن ممارسة علمية تستعين –في تحليلها للنص الأدبي- بآليات منهجية مستمدة من علوم ومناهج أخرى (علم الدلالة، علوم البلاغة، البنيوية، الإحصاء، المقارنة...)" [17]

ويرى محمد عزام أن التحليل الأسلوبي يمكن أن يطبق على نص أدبي مستقل، أو نتاج مؤلف أو مقارنات أسلوبية، أو تغير الأسلوب حسب الأمكنة والأزمنة، والموضوعات، بإجراءات منهجية مختلفة منها " منهج إمكانيات النحو، ومنهج النظم ومنهج الكلمات – المفاتيح، ومنهج تحليل الانحراف، ومنهج المستوى الوظيفي." [18] ، وهي مناهج تهدف إلى البحث عن السمات الأسلوبية، التي تميز نصا أدبيا عن نص آخر، وتحدد أهم الظواهر الأسلوبية التي تسهم في تشكيل الأسلوب العام للنص، من خلال تحليل ابنية اللغوية للنص أولا، ثم البنية الدلالية.

فالخطوة الأولى " والأساسية في التحليل الأسلوبي هي بالضرورة خطوة تحليل ألسني للنص الأدبي المدروس... إن (التحليل الألسني) هو دائما الأول، لأنه دائما المرشد إلى حقيقة البث اللغوي ومميزاته. نبدأ فنتبين في النص المدروس كل ما يتصل بالمستوى اللغوي، مفرداته، تراكيبه، ديباجته، سبكه، ثم ننتقل إلى المستوى الدلالي، وعلى الخصوص البلاغي، فندرس استنادا إليه إدلاله، وخاصة تشبيهاته، وأخيلته.. وبذلك نكون مهدنا السبيل للكشف عن صلة ذلك كله بإنتاجيته وصاحبه " [19]، ولقد أكد الدارسون أن " التحليل الألسني للشعر يظل في الأساس هو التحليل البلاغي له.. الذي يتم عبر دراسة الصور البلاغية للعبارة، ابتداء من الصور النحوية من تقديم وتأخير ، وحذف، وحتى في أرقى صور الرمز، والتخييل، يظل العمل الأساسي في التحليل الألسني هو التحليل البلاغي.. وهذا الأمر الجد هام اليوم، هو الذي أتاح للبلاغة مبررات صمودها، فطورت نفسها، واستثمرت عطاءاتها "[20]

كما أشار شكري محمد عياد إلى أن الأسلوبية تمثل " جسرا بين الأدب وعلم اللغة، أو بعبارة أخرى بين اللغة الطبيعية التي تؤخذ من أفواه أهلها وتضبط بالنحو والمعجم، وبين اللغة الفنية التي تتحكم فيها الثوابت والمتغيرات فيما نسميه الشعور الفني أو الشعور بالجمال. وإذا أخذنا باصطلاح سوسير ففي إمكاننا أن نقول إن موضوع البحث في علم الأسلوب هو أنواع الأقوال، ولاسيما النوع الفني أو الأنواع الفنية. فهو يتحرك على مستوى بين اللغة كنظام عام ومجرد وبين الأقوال كوقائع جزئية خاضعة لشتى العوامل المحيطة بالاستعمال اللغوي [21] وهو ما يجعل التحليل الأسلوبي يستفيد من بعض المناهج النقدية واللسانية كالسيميائية والتداولية، " وهما معا (اللغة والأدب) يدفعان علم الأسلوب إلى توزيع مجاله من (تحليل) الأساليب اللغوية، أو الأدبية منها خاصة، إلى (تفسير) النصوص الأدبية، أو بالأحرى وضع هذا التفسير (الذي لا يمكن في الواقع أن يخلو من أي تحليل أسلوبي خلوا تاما) على أسس علمية دقيقة، مستمدة من نظرية المعرفة من ناحية، ومن سيكولوجيا القراءة من ناحية أخرى[22]

وبما أن الأسلوبية تدرس الأسلوب وتبحث عن أسباب تميزه وتفردّه التي تتأتى من الانزياحات والمفارقات، فإن " الأسلوبية من طبيعتها أسلوبية انزياحات، لأنها من طبيعتها تتعامل مع (الفرادة الشخصية)، في تعبير المنشئ عن نفسه، وأنها من طبيعتها أيضا، تعالج (خصوصيات) المزاج، والطباع عنده... هذا الأمر هو الذي يؤكد المجال الخاص الذي للأسلوبية وتحليلاتها، كما يؤكد في المقابل المجال الخاص الذي للبلاغة، وتحليلاتها.. إن مجال الأسلوبية هو مجال الكشف عن الفرادة الأدبية، وتفسيرها، استنادا إلى ركائز (الإبلاغية)، ووظيفتها البنائية..وبذلك لم يعد التحليل الأسلوبي يكتفي بالتنويه بهذه (الانزياحات)، كما تفعل (البلاغة) عادة... وإنما راح يحللها، ويفسرها في إطار إبلاغيتها، ويظهر على الخصوص صلاتها بصاحبها، مواهبه ومكاسبه[23]، وهو ما يجعل التحليل الأسلوبي يختلف عن التحليل البلاغي الذي يكتفي بإبراز البنية الشكلية الجمالية للنص.

"وإن الصلة بين (الأسلوبية) و (النقد الأدبي) صلة طبيعية، ووثيقة..إن كلا منهما يصف ، ويحلل، ويركب، ويفسر.. ولكن بينما تكتفي (الأسلوبية) بالكشف والتقرير ، يعمد (النقد الأدبي) إلى التقييم وإصدار الأحكام. ولكن دلت التجارب، أن (النقد الأدبي) يستقيم أكثر، وتصح أحكامه أكثر، حين يتساند مع التحليلات الأسلوبية العينية، سيما أن التحليل الأسلوبي، يكشف عن الإبلاغية، ويكشف عن ظروف الانزياحات، أي مبرراتها.." [24]

وحول طبيعة التحليل الأسلوبي يرى عدنان بن ذريل أن الذين تحزبوا للنص من الألسنيين، يقولون بأن الأسلوب هو الوظيفة المركزية التي تنظم النص، ولغته، فتحزبوا للقيم الموسيقية فيه، من جرس، وتكرارات، وتوازيات...إلا أن ذلك موضع نظر..إذ لا يجوز حصر الفنية الأدبية بالتنظيم اللغوي للنص، وإنما هناك وراء هذه الشعرية اللغوية (شاعرية) تبني العمل الأدبي بكل تقنياته، وأساليبه، وصياغاته.. إن (الفنية) البويتيك، بمدلولها الصحيح، والمتوارث تضطرنا إذن إلى دراسة (الشعرية)، و(الشاعرية) كليتهما في أي نص ندرسه.." [25]

كما يضيف عدنان بن ذريل قائلا: وهذا الأمر على وعورة مسالكه، هو الذي أكد عندي ميزة ربط (الفرادة الأسلوبية) التي يتمتع بها النص بالباث، صاحب النص، وليس ربطها بالتنظيم اللغوي للنص.. وهو أيضا ما درجت عليه، معتمدا في ذلك طرائق علم النفس الملائمة." [26]

مما تقدم نلاحظ أن التحليل الأسلوبي يختلف عن التحليل البلاغي والألسني من حيث رؤية المحلل الأسلوبي للنص، ومفهومه للأدبية والشعرية، فالمحلل اللساني يكتفي بلغة النص وبنيته التي يعمل على تفكيكها ووصفها وتبيان العلاقات الموجودة بين المستويات اللغوية أو البنيات اللسانية التي تشكل النص، كما تعمد البلاغة إلى إطلاق الأحكام المعيارية على النصوص، بعد أن تكشف عن شاعرية هذه النصوص من خلال تحديدها لمختلف الأساليب الجيدة التي تشكل النص، أما الأسلوبية فتجمع بين التحليل الأسلوبي والبلاغي، وتتجاوزه من خلال ربط النص بصاحبه وسياقاته المختلفة التي أنتجته، كما تبحث عن مدى تأثير النص في القارئ، وكيف يمكن للنص أن يحقق هذا التأثير. حيث تركز على الانزياحات والمفارقات، وخرق أفق توقع المتلقي وتحللها ثم تفسرها.

المحور الثالث: التحليل الأسلوبي للحديث النبوي الشريف:

أولا: نص الحديث:

" عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيْضاً قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُول الله صَلّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذَا طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ: الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ ألاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ، وتُقِيمَ الصَّلاَةَ وتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنْ اِسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإِيمَانِ. قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وكُتُبِهِ، ورُسُلِهِ، واليَوْمِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ. قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإِحْسَانِ. قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثَ مَلِيّاً ثُمَّ قَالَ: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ" [27]

ثانيا: التحليل:

1-أسلوبية الأصوات:

تسهم الأصوات بأنواعها المختلفة في تشكيل البناء العام للنص، وضبط إيقاعه، الداخلي والخارجي، وتعمل على تكثيف الدلالة وتحديد المعاني الكامنة في النص، حسب سياقاته المختلفة، و تعمل أيضا على لفت انتباه السامع وتوجيهه إلى المعاني المقصودة والتأثير فيه. لأن الأصوات هي المادة الأولية لتشكيل أسلوب النص، فاللغة كما قال ابن جني حدها الأصوات التي يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.

سنحاول تحديد الأصوات المسهمة في بناء نص الحديث، لاسيما الأكثر تكرارا، وتحديد وظائفها والدلالات المرتبطة بها من خلال الجدول الآتي:

الجدول رقم 1: الأصوات وتكرارها في الحديث الشريف

أصوات الجهر	تكرارها	أصوات الهمس	تكرارها
اللام	76	التاء	32
الهمزة	45	الهاء	32
الألف	42	السين	23
النون	35	الفاء	15
العين	31	الكاف	10
الراء	30	الصاد	8
الياء	38	الحاء	8
الميم	23	الخاء	8
الواو	23	الشين	5
القاف	19	الثاء	2
الباء:	17		
الدال	16		
الضاد	5		
الجيم	4		
الطاء	3		
الذال	2		
الظاء	0		
الزاي	0		
الغين	0		

نلاحظ من خلال الجدول: أن أصوات الجهر أكثر من حيث الحضور والتكرار من أصوات الهمس، حيث بلغت أصوات الجهر ما يقارب أربعمئة (400) صوت بينما بلغت أصوات الهمس ما يقارب مئة وثلاثين صوتا (130). وربما هذا التباين بين أصوات الجهر والهمس يرجع إلى السياق العام للحديث الذي اقتضى أن تكون أصوات الجهر هي المهيمنة.

إن تكرار الأصوات في الحديث أضفى عليه دلالة وإيقاعا مميزا، وجعل ثنائية الجهر والهمس تهيمن عبر كامل الحديث ويظهر ذلك من خلال:

أ- أصوات الجهر

وتحدث عندما ينغلق مجرى الهواء فيحدث " ضغط الهواء المدفوع خارجا من داخل الرئتين تذبذبا في الوترين الصوتيين"[28]

إن طغيان أصوات الجهر يعكس لنا الطاقة الإسماعية للحديث، نظرا لوضوحها السمعي، وقوتها التي تثير المتلقي، وتلفت انتباهه لما يقال.

ولقد أفاد الجهر في الحديث معنى التتابع، حيث يؤدي تتابع أصوات بعينها إلى التتابع في المعنى، ويظهر ذلك من خلال تكرار بعض الأصوات مثل صوت الراء الذي نتج عن تكراره تتابع دلالي.

ب-أصوات الهمس:

تحدث أصوات الهمس عند انفراج " الوتران الصوتيان عن بعضهما البعض في أثناء مرور الهواء من الرئتين بحيث يسمحان له بالخروج دون أن يقابله أي اعتراض في طريقه، ومن ثمة لا يتذبذب الوتران الصوتيان" [29]

نلاحظ أن الأصوات المهموسة أقل حضورا من الأصوات المجهورة، لأن مقاصد الحديث وأغراضه، وموقفه التواصلي يقتضي ذلك. وعليه فإن الانتقال بين الأصوات من همس إلى جهر، قد يولد جرسا موسيقيا وإيقاعا على مستوى الحديث، وظيفته لفت انتباه المتلقي لأهمية ما يقال. ولعل استعمال الأصوات المهموسة في الحديث قد غيّر من وتيرته الشديدة.

2-البنية الصرفية لأسلوب الحديث:

أ-الأفعال وصيغها الصرفية:

سنحاول في البداية استخراج كلّ الأفعال التي توجد في الحديث باعتبار أنّ الفعل يعدّ ركنا أساسيا في البناء العام للنص، وأسلوبه. وكذلك نظرا لإسهامه بنسب عالية في البناء

اللغوي لأحاديث الرسول صلّى الله عليه وسلّم، الذي يتميز أسلوبه بالبلاغة والفصاحة، والتميز والفرادة.

فالفعل في النحو هو كلّ ما دلّ على حدث وزمن، يتضمنان معنى الصيرورة والتحول.

كما عرفه سيبويه بقوله : " وأما الفعل فأمثلة أُخِذَتْ من لفظ أحداث الأسماء، وبُنِيتْ لما مضى ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع" [30]

يمكننا تقسيم الأفعال الموجودة على مستوى بنية الحديث إلى ثلاث مجموعات حسب الصيغ الصرفية الأكثر حضورا وتكرارا، كما يلي:

-صيغة فَعَلَ: وهي تفيد الثبوت والكينونة، وتدل على الحدث والزمن وتظهر من حلال الأفعال التالية:

طلع، يرى، وضع، قال، صدق، جلس صام، عبد ، ترى ، يرى ، درى، أتى، كما تحمل هذه الصيغة دلالات أخرى كثيرة منها التأكيد على حدوث الأمر، كما في الأفعال التالية: صام، عبد، ومنها ما يفيد ثبوت الحدث مثل : رأى، وأتى. ومنها ما يفيد الجزم والتأكيد.

-صيغة أفْعَلَ: وتفيد الصيرورة والتحول، والتعدية، ومن معانيها أيضا تأكيد المعنى و السلب والإزالة، وقد أفادت في الحديث في كل المواضع التي وردت فيها تأكيد المعنى ومن أمثلتها: (أسند، أخبرني ، ، أخبرني، أخبرني ، أخبرني، أعلم، ، أخبرني، أعلم).

-صيغة استفعل: تفيد الطلب، والتحول، كما تفيد أيضا الصيرورة، والمطاوعة، كما في " استطعت" التي جاءت للدلالة على طلب القيام بالفعل.

والأفعال تؤمن، تشهد، جاءت على وزن تفعل، وانطلق على وزن افتعل، و يتطاولون على وزن يتفاعلون، و لبث على وزن فَعِلَ.

فالصيغ في هذا الحديث جاءت متنوعة، منها البسيطة ومنها المركبة المقترنة ببعض الأدوات والحروف، مما أضفى عليها دالات مختلفة، ما جعلها تفيد معاني كثيرة، كالنصح والإرشاد، والتأكيد والتقرير، والنفي، والتنبيه والتحذير، وغيره. وهو ما زاد أسلوب الحديث جمالا وأكسبه تفردا وتميزا.

بالإضافة إلى تنوع الصيغ الصرفية على مستوى بنية الحديث نلاحظ أيضا الحضور المكثف للأفعال بأنواعها الثلاثة (الماضي، والمضارع، والأمر) ممّا يدل على خاصيّة التحول، والصيرورة، والتغيير والحركة التي يضفيها الفعل على البنية اللغوية لهذا الحديث مما يجعل أسلوبه مميزا، ومؤثرا في المتلقي. فالفعل ما دل على حدث أو زمن وهو ركن أساسي في عملية الإسناد، وبناء الجمل، كما يسهم الفعل بصيغه المختلفة في بناء النص، وتحديد معانيه ودلالاته المختلفة.

أمّا إذا انتقلنا إلى زمن هذه الأفعال فإنّنا سنجد الآتي:

الجدول رقم 2 : أزمنة الأفعال

الماضي	المضارع	الأمر
أسند – وضع – قال وتكرّر اثنتي عشرة مرة- استطعت – صدقت وتكرّر مرتين – عجبنا – طلع – انطلق – لبث -	أتاكم يعرفه – تشهد – تقيم – تؤتي – تصوم – تحجّ – يسأله – يصدّقه – تؤمن وتكرّر مرتين – تعبد – تراه وتكرّر ثلاث مرات– تلد – ترى – يتطاولون - يعلّمكم	أخْبِرْني وتكرّر خمس مرات

نلاحظ أنّ الأفعال في هذا الحديث جاءت متباينة، حيث بلغ عددها ستة وعشرين فعلا مع تكرار بعض الأفعال، مثل (قال، صدقت، تؤمن، ترى، أخبرني) ممّا يجعل عدد الأفعال الإجمالي يصل إلى خمسين فعلا، توزّعت بين الماضي، والمضارع، والأمر. وقد بلغ عدد الأفعال المضارعة والمتكرّرة منها: تسعة عشر فعلا، والماضية والمتكرّرة منها ثلاثة وعشرين فعلا، والأمرية فعلا واحدا تكرّر خمس مرات.

ومنه، فإنّ الحضور المكثّف للأفعال في الحديث يدلّ على الحركيّة، والحيويّة، لأنّ الفعل لا يعرف الثبات، والاستقرار، ممّا أضفى على الحديث حركيّة بانتقاله من الماضي إلى المضارع إلى الأمر. وإنّ هذا التنوع في الأفعال جعل من الجو العام للحديث تأثيريا يستجلب النفوس ويستهويها لأنّ النمط الفعلي الواحد من شأنه أن يؤدي إلى السأم والملل، ومن ثمّ النفور من سماع القول، ولعلّ هذا التباين في الأفعال أيضا قد يكشف عن التباين في الأغراض، فالماضي غرضه (تقريري) والمضارع (للتأكيد)، والأمر (للتنبيه والتحذير وهي سمة أسلوبية تتميز بها الأحاديث الشريفة.

من خلال ما تقدّم يمكننا ملاحظة ما يلي:

- لقد أفاد الماضي التقرير، حيث اعتمد الرسول صلّى الله عليه وسلّم الماضي لتقرير الحقائق، ممّا يجعل الأسلوب المهيمن على الحديث هو أسلوب التقرير مثل قوله (...طلع علينا رجل)، (أسند ركبتيه إلى ركبتيه)، (ووضع كفّيه على فخذيه)، (...فإنّه جبريل أتاكم...) وأيضا تكرار الفعل الماضي (قال) أفاد التقرير.

- أمّا فيما يخص المضارع فلقد أفاد التأكيد على القيام بمجموعة من الأفعال مثل قوله: (أن تشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمدا رسول الله)، (...تقيم الصّلاة..)، (..تؤمن بالله...)، (...تعبد الله..)، (...تحجّ البيت...)، (تصوم رمضان..).

- وقد أفادت الأفعال الأمرية الطلبيّة لفت الانتباه، وشحذ الأذهان، والتركيز لسماع ما يقال، ويتجلّى ذلك في تكرار العبارة (أخبرني) خمس مرّات عبر كامل الحديث.

وما يمكننا قوله: إنّ هذا الطغيان القوي للأفعال على حساب الأسماء في الحديث الشريف، وكذا الاختلاف في أزمنتها من الماضي إلى الحاضر إلى الأمر زاد أسلوب الحديث حيويّة، وفعاليّة، وجعله يبدو نسيجا من الأحداث المتتالية، والمتعاقبة، من التقرير إلى التأكيد إلى الأمر. ولعلّ هذا التسلسل المحكم، والانتقال من مقام المعلم المقرر الذي يحضّر الأذهان ويشحذها لما سيأتي، ويهيؤها لتقبّل الأحكام التشريعيّة التي جاء بها القرآن، ثمّ مقام المؤكّد الذي يدعّم موقفه هذا بتأكيد ما ذهب إليه من خلال الحضور القوي للفعل المضارع، وبعض الأدوات المصاحبة التي تخدم هذا الغرض مثل (إنّ). ثمّ الانتقال إلى الأمر، وهنا يكون المستمع قد استعدّ وحضّر نفسه ذهنيا وروحيا ونفسيا لتقبّل ما يؤمر به.

فهذا التسلسل يجعل من أسلوب الحديث مفهوما وواضحا يصيب المعنى من أقرب مرمى، يؤثر في المتلقي، ويجعله يهتمّ بما جاء في الحديث.

والمتمعّن في الأحاديث النبوية عامة، سيجدها وفق هذا الخيط محكم النسيج، تمتدّ وفق خطّة منظّمة ومنطقيّة، وتنتقل من طرح للموضوع بأسلوب تقريري، ثمّ التأكيد على ما جاء فيه، ثمّ الأمر بالعمل بما جاء فيه، أي (مقدمة، وعرض، وخاتمة).

3-البنية التركيبية للحديث

أمّا إذا انتقلنا إلى أهمّ الجمل الفعلية التي تكون النص فإنّنا سنجد طغيان الجملة الطلبية بأنواعها (أمرية، واستفهامية، وناهية، وندائية) إضافة إلى الجمل التقريرية.

وفيما يلي أهمّ الجمل الطلبية التي يحتوي عليها الحديث:

الجدول رقم 3: أنواع الجمل في الحديث الشريف

الجملة الطلبية	عدد حضورها في الحديث	الجملة التقريرية	عدد حضورها في الحديث
- 1جملة النداء - يا محمد أخبرني عن الإسلام - يا عمر أتدري من السائل **2- جملة الأمر** - أخبرني عن الإسلام - أخبرني عن الإيمان - أخبرني عن الإحسان - أخبرني عن الساعة - أخبرني عن أماراتها **3-جملة النفي** - لا يرى عليه اثر السفر - لا يعرفه منا احد	**مرتان** **خمس مرات** **مرتان**	- إذ طلع علينا رجل - حتى جلس إلى النبي - أسند ركبتيه إلى ركبتيه - وضع كفيه على فخذيه - قال صدقت - قال صدقت - فإنه جبريل أتاكم ليعلمكم دينكم - الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّدا رسول الله... - أن تعبد الله كأنك تراه - أن تلد الأمة ربيتها،	عشر مرات

4-جملة الاستفهام - أتدري من السائل	**مرة واحدة**	وأن ترى...	

إن الحديث الذي بين أيدينا عبارة عن فضاء واسع ومشحون بالحركية، والتغيرات المتتالية في الأزمنة، والمواقف، والعبارات. كل هذا يسهم في بناء النص أسلوبيا، تتلاق فيه الجمل الإنشائية بأنواعها المختلفة، من أمرية وطلبية، واستفهامية، بالجمل التقريرية، لتجعل من الرسالة أداة فعّالة لتحقيق الفهم، والإبلاغ، أي إبلاغ قصد المرسل ونيّته، وكذلك تحقيق الفائدة، من خلال تأثر المرسل إليه بما جاء في الرسالة.

وهذا التأثر والاستجابة، يسهم في صنعها مجموعة من العوامل أهمها:

الأفعال بكل ما تحمله من حركية، ومادية، ومباشرة، وكذلك الأساليب الإنشائية التي تعمل على جلب انتباه السامع، وشحذه ذهنيا لتقبل ما سيقال له.

ونشير إلى جانب هذا أنّ الأسلوب التقريري هو الذي يغلب على الحديث نظرا لطبيعة النصوص الدينية التي تتطلب ذلك، لأن الرسول صلّى الله عليه وسلّم في مقام التقرير، بغية إبلاغ مجموعة من التشريعات الإلهية إلى المسلمين كافة، ولقد ارتأى أن يكون الأسلوب التقريري هو الوسيلة الأولى التي يتخذها هذا الغرض.

ولعلّ هذا التركيب المحكم بين الجمل قد يحافظ على اتساق الحديث، بحيث لا يجد المتلقي فيه أيّ ضعف يمكن أن يسيء به الفهم، وأن يحول دون وصول القصد المراد إلى ذهنه، فقد جاء الحديث محكم الأجزاء مرتبا وفق ما اقتضته الغاية البلاغية والإبلاغية فيه.

أما إذا انتقلنا إلى أسلوب الحديث لنستقصي مواطن الجمال فيه، فإننا سنجده أسلوبا متميزا، وليس له ما يشبهه في هذه اللغة، ولا يرقى إلى مرتبة البلاغية. فتلك الكلمات القليلة، والسهلة الواضحة، المتخيرة بدقة وعناية، وتلك الجمل القصيرة المنتقاة في غير تكلف ولا صنعة قد نهضت بالمعاني القيمة، وطبعت كلامه عليه الصلاة والسلام بجرس معبر له أثره الجميل في السمع والنفس، ولعلّ خير ما ينطبق على هذا الكلام هو قول أبي حيّان التوحيدي: "...وأحسن الكلام ما رقّ لفظه، ولطف معناه، وتلألأ رونقه،..وقامت صورته بين نظم كأنه نثر، ونثر كأنه نظم، يطمع مشهوده بالسمع، ويمتنع مقصوده على الطبع..." [31]

وأيضا فقد كان كلامه عليه الصلاة والسلام كما وصفه الجاحظ في قوله: "هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزّه عن التكلف،...استعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين، المبتكر السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حق بالعصمة، وشدّ بالتأكيد، ويسر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول، وجمع له عن إعادة، وقلّة حاجة السمع إلى معاودته، ثم لم تسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أقصد لفظا، ولا أعدل وزنا، ولا أجمل مذهبا، ولا أكرم مطلبا، ولا أحسن موقفا، ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى من كلامه صلّى الله عليه وسلّم" [32]

ج-الإيجاز:

لقد كان الإيجاز من أهم السمات الأسلوبية المصاحبة للأحاديث النبوية، وهو أنسب بها من الإطناب لأنّ طبيعة هذه الأحاديث القائمة على جمل إنشائية قصيرة، وألفاظ وكلمات منتقاة بدقة وعناية، تفرض على المرسل الإيجاز، والابتعاد عن الإطناب والتفصيلات الكثيرة المملّة.

فالإيجاز هو تكثيف المعنى وتقليل اللفظ بشرط أن يعبر المذكور من اللفظ عمّا هو مقصود من المعنى دون إخلال فيه ، وقد عرّفه الرماني بقوله: " الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة، ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز" [33]

ولقد أشار ابن سنان الخفاجي إلى أنه " من شروط الفصاحة والبلاغة الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام حتى يعبر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة" [34] فالإيجاز عنده هو التعبير عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة المعنى.

ويرى ابن سنان أيضا أن "... الأصل في مدح الإيجاز والاختصار في الكلام أنّ الألفاظ غير مقصودة في أنفسها، وإنّما المقصود هو المعاني والأغراض التي أحتيج إلى العبارة عنها بالكلام فصار اللّفظ بمنزلة الطريق إلى المعاني التي هي مقصودة، وإذا كان طريقان يوصل كلّ واحد منهما إلى المقصود

على سواء في السّهولة إلاّ أنّ أحدهما، أخصر، وأقرب من الآخر فلا بدّ أن يكون المحمود منها هو أخصرها وأقربها سلوكا إلى القصد فإن تقارب اللفظان في الإيجاز وكان أحدهما أشدّ ايضاحا في المعنى كان بمنزلة تساوي الطريقين في القرب وزيادة أحدهما بالسهولة ..." [35]

خاتمة:

وجملة ما نخلص إليه هو أنّ أسلوبه عليه الصلاة والسلام اتصف بالإيجاز، وقوة الإقناع، والحرارة في توجيه الكلام، وعمق دلالاته. فجاءت الألفاظ منتقاة، وواضحة التركيب، بعيدة عن التكلف، تنفذ إلى الأعماق فيعيها العقل.

وقد أسهمت مجموعة من العناصر في إضفاء المسحة الجمالية على الحديث ممّا جعل أسلوبه صلى الله عليه وسلم صالحا لكل زمان و مكان ، وأول ما نلاحظه ما يلي:

1- غلبة الجمل الفعلية في الحديث على بقية الجمل الأخرى.

2-تنوّع الجمل داخل الحديث، مما يعكس تنوعا في المعني، وجعلها تؤدى في جو من الإثارة، مستخدما في ذلك الأمر، والنفي والاستفهام، والنداء.

3-كثرة الجمل الإنشائية، كالأمر، والطلب، والنهي...

4-البساطة والإيجاز والوضوح في الأسلوب.

5-تنوع الألفاظ وتعدّدها: لقد حفل الحديث بالكثير من الألفاظ منها ما كانت ألفاظا قرآنية من مثل (الوحي، الملائكة، الروح، الجهاد، الشهادة، الإسلام...) ومنها ما كانت تتصل اتصالا وثيقا بالحياة اليومية كالبيع، والشراء، والأعمال، وغيرها،...

وتكمن قيمة اللّفظة في الأحاديث النبوية في موقعها من التركيب، وفي علاقتها وملاءمتها لمعنى اللّفظة التي قبلها، والتي تأتي بعدها، إلا أن بعض الألفاظ المستقلة عن غيرها لها قيمة أيضا ، وقوّة، ووقع في الأسماع، وهذا راجع إلى دلالاتها القوية المعبرة،و المؤثرة في السامعين.

6- أسلوب العرض المباشر التقريريّ الواضح، من خلال الأداء المباشر للمعنى المراد تبليغه للمتلقين، وهذا لا ينفي ميل الرسول صلّى الله عليه وسلّم في بعض الأحيان إلى التصوير، والاستعانة بأساليب التعبير البياني الفني كالتشبه.

7- تنوع الأساليب: تنوعت الأساليب في الحديث الشريف، ما بين (التقرير، والأمر، والنهي، والنفي، والاستفهام...) وهي على الرغم من تعدّد مشاربها، وتنوّع توجّهاتها، كانت تنهل من منهل واحد ومشترك هو العقيدة الإسلامية، حيث اعتمد الرسول صلّى الله عليه وسلّم في أحاديثه بعامة، وفي هذا الحديث خاصة، أساليب متنوعة عبّرت على حرصه الواضح في إقناع المخاطبين واستمالتهم إليه، وتقرير الأفكار في نفوسهم، ومن ذلك استعانته بأساليب التوكيد المختلفة.

8- تسلسل الأفكار: امتاز الحديث بتماسك أجزائه، وترابط أفكاره، فكان الرسول صلّى الله عليه وسلّم يعرض موضوعاته، وأفكاره بصورة متسلسلة ومرتّبة ترتيبا دقيقا يخضع لقواعد ثابتة. وقد كان الرسول صلّى الله عليه وسلّم موفّقا في إيصال أفكاره إلى أذهان المتلقين بأسلوب مشوّق .

9- توظيف الأساليب الإنشائية :إنّ الأساليب الإنشائية التي كان يستعملها الرسول صلّى الله عليه وسلّم لم تكن مجرّد أدوات تعبيرية فحسب، وإنّما كانت إحدى عناصر الإبلاغ، والبلاغة، والإيحاء، والإثارة، لمقدرتها الكبيرة على تحريك النفوس، وإيقاظ الشعور. ومهما يكن الأمر فإنّ الرسول صلى الله عليه وسلّم لكي يحقق التأثير لا بد أن يغاير بين الأسلوب الخبري، والإنشائي، ويُغلّب الإنشائيّ كي لا يكون أسلوبه على وتيرة واحدة تبعث الملل، والسّأم في النفوس.

10- الوضوح: يعدّ الوضوح من أبرز سمات الأسلوب النبويّ الشريف، وسبيل الوضوح هو تبسيط التعبير، والبعد على التكلّف، والقيود التي تفسد على المرسل النيّة في الإبلاغ والإبانة.

إضافة إلى التعبير السهل، والفكرة الواضحة، المحدّدة، فقد كان الوضوح سمة لازمة لأسلوب الحديث عامّة، لأنّ فهم المعاني هو الأساس الذي يستند إليه الرسول صلّى الله عليه وسلّم، لإقناع المتلقين، واستمالتهم فضلا عن أنّ الغموض والإبهام لا يلائمان السّامعين، فلا يتحقق الهدف المرتجى من الحديث. وقد أشار الجاحظ إلى ذلك ناقلا عن (أبي داود أبي جديد) قوله: "تلخيص المعاني رفق، والاستعانة بالغريب عجز، والتشادق من غير أهل البادية بغض، والخروج مما بنى عليه أول الكلام إسهاب" [36]

المصادروالمراجع

الكتب :

1- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة. تحقيق علي فودة، مكتبة الخانجي، مصر، 1932.

2-أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، راجعه: هيثم خليفة الطعيمي، الجزء الأول، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 2011،

3- بسام بركة، علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، مركز الإنماء القومي، لبنان.

4 - الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ بمصر، الجزء الأوّل، ط4، الكتاب الثاني، 1975.

5- الرماني، النكت في أعجاز القرآن، تحقيق: سلام محمد زغلول، أحمد محمد خلف الله، ط10، دار المعارف، القاهرة

6- سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الجزء الأول، ط3، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1988

7- شكري محمد عياد: اتجاهات البحث الأسلوبي، ط1 دار العلوم للطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، 1985.

8 - عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط2، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1982.

9 - عدنان بن ذريل، النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، ط1منشورات اتخاد الكتاب، دمشق، 1989.

10-كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة 2000

11-محي الدين بن شرف النّووي، الأربعون النووية وشرحها، دار عمر بن الخطاب، الاسكندرية (دت) .

12 - محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم أنجليزي عربي، ط3،الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان ، 2003.

13-منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، 1990. –

14- منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ط1، مركز الإنماء الحضاري، 2002.

15- نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر 1997.

16 - يوسف مسلم أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن، 2007.

17- يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007,

18 - بيير جيرو الأسلوبية ترجمة منذر عياشي، ط2، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، 1994.

19- بول آرون- دينيس سان – جاك – آلان فيالا- معجم المصطلحات الأدبية، ترجمة الدكتور محمد حمود، ط1، مجد المؤسسة الجامعية، للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان ، 2012

الهوامش

[1] - بيير جيرو الأسلوبية ترجمة منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، ط2، 1994، ص 09.

[2] - المرجع نفسه، ص 09.

[3] - نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر 1997، ص 13، أخذه عن جورج مونان، مفاتيح الترجمة، ترجمة الطيب بكوش.

[4] - يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007، صص 75، 76.

[5] - عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ط2، 1982، ص 33-34.

[6] - بول آرون- دينيس سان – جاك – آلان فيالا- معجم المصطلحات الأدبية، ترجمة الدكتور محمد حمود، مجد المؤسسة الجامعية، للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان ط1، 2012، ص 120.

[7] - محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، دراسة ومعجم أنجليزي عربي، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان ط3، 2003، ص 106

[8] - يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 85-86، وينظر أيضا محمد عناني، معجم المصطلحات الأدبية ص 67، و ص 106.

[9] - المرجع نفسه ص 85، وينظر أيضا مراجع أخذ عنها هي: سعد مصلوح، دراسة لغوية إحصائية، ط3، عالم الكتب، القاهرة، 1992، ص 156، و –رابح بوحوش، البنية اللغوية لبردة البوصيري، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1993، ص 07، و معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، ص 88. – المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، ص 137، - إميل يعقوب وآخران(، قاموس املصطلحات اللغوية واألدبية، ص ،277 ، بسام بركة، معجم اللسانية ص 194، معجم المصطلحات اللسانية ص 272، عزة آغا ملك: الأسلوبية من خلال الألسنية، الفكر العربي المعاصر، ع 38، آذار 1986، ص 84، الأسلوبية من خلال اللسانية ص 08.

[10] - يوسف مسلم أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن ط1، 2007، ص 35.

[11] - عدنان بن ذريل، النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، منشورات اتخاد الكتاب، دمشق، ط1، 1989، ص 171.

[12] - منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002، ص 27.

[13] - يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 75، نقلا عن :

La Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, P.118 :dictionary of ، و stylistique P. 05R.P.K Hartmann ,F .C Stork، و linguage and linguistics ,P.223.

[14] - بيير جيرو، الأسلوبية، مرجع سابق، ص 148.

[15] - منذر عياشي، مقالات في الأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1990، ص 30.

[16] - يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص90. نقلا عن: محمد الهادي الطرابلسي: تحاليل أسلوبية، دار الجنوب للنشر، تونس، 1992، ص 08.

[17] - المرجع نفسه، ص 90 ،نقلا عن: محمد عزام : الأسلوبية منهجا نقديا، ص 47.

[18] - المرجع نفسه، ص 91/90. نقلا عن: محمد عزام : الأسلوبية منهجا نقديا، ص 47.

[19] - عدنان بن ذريل، النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق مرجع سابق، ، ص 173.

[20] - المرجع نفسه، ص 173.

[21] - شكري محمد عياد: اتجاهات البحث الأسلوبي، دار العلوم للطباعة والنشر، المملكة العربية السعودية، ط1، 1985، ص 211، 212.

[22] - المرجع نفسه، ص 212.

[23] - عدنان بن ذريل، النقد والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 174.

[24] - المرجع نفسه ص 174، 175.

[25] - المرجع نفسه، ص 175، 176.

[26] - المرجع نفسه، ، ص 177.

[27] - الإمام محي الدين بن شرف النّووي، الأربعون النووية وشرحها، دار عمر بن الخطاب، الاسكندرية (دت) ص 10-11.

- صحيح البخاري، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان، وعلم الساعة حديث رقم 50. ص 36

- صحيح مسلم

[28] - بسام بركة، علم الأصوات العام، أصوات اللغة العربية، مركز الإنماء القومي، لبنان، ص 78.

[29] - كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة 2000، ص 174.

[30] - سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الجزء الأول، ط3، مكتبة الخانجي بالقاهرة، 1988، ص 12.

[31] - أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، راجعه: هيثم خليفة الطعيمي، الجزء الأول، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 2011، ص 256.

[32] - الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط4، مكتبة الجاحظ بمصر، الجزء الثاني، 1975، ص 16-17.

[33] - الرماني، النكت في أعجاز القرآن، تحقيق: سلام محمد زغلول، أحمد محمد خلف الله، ط10، دار المعارف، القاهرة، ص 76.

[34] - ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تحقيق علي فودة، مكتبة الخانجي، مصر، 1932، ص 194.

[35] - المرجع نفسه، ص 203

[36] - الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الجاحظ بمصر، الجزء الأوّل، الكتاب الثاني، الطبعة الرابعة، 1975، ص 44.